المحاضرة الثانية

وإذا كانتُ الفلسفةُ اليونانية قد نشأت بطبيعتها من أصول يونانية بحتة ولم تتأثر بالحضارة الشرقية، فمن أي نوع من أنواع التربة نشأت هذه الفلسفة؟

فهل الفلسفة نشأت كمعجزة عند اليونان أم احتذى اليونانيون بما كان شائعا لدى الأمم الشرقية القديمة السابقة على اليونان من أفكار فلسفية وعلمية؟.

يرى نيتشه في كتابه" :الفلسفة في العصر التراجيدي عند الإغريق" أن الفلسفة اليونانية قد نشأت عن مصدر صوفي، ويرى بدوي أن هذه النظرة الحيوية قد انقضى عصرها من سنة 1920 تقريبا، ولكن بقي لها مع ذلك كثير من القيمة; لأنهاً دلتنا على مصدر حقيقي صدرت عنه الفلسفة في بداية نشأتها، وهو التصوف أو الدين، مع ملاحظة أن الدين عند الفلاسفة الطبيعيين لم يكنً منفصلا عن الفلسفة، بل كاناً شيئاً واحدا، إلا أن بدوي يرى أنه إلى جانب الدينُ وجدت عناصر أخرى في أحضانها نشأت الفلسفة اليونانية; وهي التفكير السياسي، والتفكير الأخلاقي، فتكون المصادر الرئيسة التي نشأت عنها الفلسفة اليونانية هي العامل الديني والعامل السياسي والعامل الأخلاقي.

الرأي الثاني:

في القرن الثالث قبل ميلاد المسيح، دعا ديوجين في كتابّ ضمنه حياة مشاهير الفلاسفة وآراءهمَ وعرض فيه للحديث عن فلاسفة مصريين، وشرقيين قدماء، وأرجع فيه نشأة الفلسفة إلى تراث الشرق القديم والواقع أن هذا الرأيّ ظلً مهملا لا يلقى استجابةً وتقبلا على النحو الذي لقيه الرأي الأول الذي أطلقه أرسطو وانحاز إليهّ وتبناه كثير منّ الكتاب والمؤرخين الغربيين.

إلا أن هذا الرأي –الثاني– قد نال في القرن التاسع عشر اهتمام بعض المؤرخين الأوروبيين، ولعل من أشهر هؤلاء المؤرخين: ول ديورانت وجورج سارتون.

فأما **ويل ديورانت** فقد ذهب في كتابه الشهير" :**قصة الحضارة** "إلى التأكيد على أن المؤرخين الغربيين من أنصار الرأي الأول، الذين يزعمونً خطأ أن ثقافة اليونان كانت المصدر الوحيد الذي أخذ منه العقل الأوروبيّ ستتولاهم الدهشة إذا ما عرفوا إلى أي حد تدين علوم الغرب وآدابه وفلسفاته لتراث مصر وبلاد الشرق الأخرى، وأشار إلى أن هناك في تراث المصريين كتابات قديمة تتصل بالفلسفة الأخلاقية من بعيد، بل إن حكمة مصر القديمة كانت مضرب الأمثال من جانب اليونان الذين اعتقدوا أنهم أطفال إلى جانب حكماء هذا الشعب القديم.

أما **جورج سارتون** فقد أشار إلى أن المؤثرات الشرقية يجب أن تعتبر متقدمة على ما أثمرته جهود اليونان.

إن المؤرخ الغربي منذ **أرسطو** إلى الآن غالبا ما يميل إلى التأكيد على أن الفلسفة والعلم اختراعان يونانيان وأنهما يبدآن من **طاليس الملطي** في أوائل القرن السادس قبل الميلاد، وقد تابع معظم المؤرخين العرب المؤرخ الغربي في هذا الاعتقاد بحجة أن الفلسفة قد ظهرت لدى اليونان في القرن السادس من خلال نقد اليونانيين الحر المحايد لتراثهم واستنادا على خصائص تميز بها الانسان اليوناني دون سواه من البشر في ذلك القرن. وأنه إذا كان ثمة أفكار فلسفية شرقية قديمة فهي أفكار أسطورية بينما الأخلاقية مجرد حكم ومواعظ علمية.

لكن هذا الميل نحو تأكيد المعجزة اليونانية في نشأة الفلسفة أخذ يتضاءل شيئا فشيئا حينما بدأت تظهر المكتشفات الحديثة لآثار وكتابات فلاسفة الحضارات الشرقية القديمة، حيث بدا للمؤرخ المنصف أن ما كان يردده **أفلاطون وأرسطو** من فلاسفة اليونان عن وجود محكة لدى المصريين القدماء ومن ثم لدى أمم الشرق القديم كان صحيحا، وأنه لا يمكن فهم

إبداعات اليونانيين إلا بردها إلى أصولها الشرقية. وقد أصبحنا الآن- رغم ادعاءات المؤرخين المتعصبين للمعجزة اليونانية – أمام حقيقة لا تنكر لدى الكثيرين من المؤرخين يعبر عنها **شارل فرنر** حينما يقول "إن الفلسفة اليونانية إنما نشأت من تماس اليونان بالشرق" فقد نشأت الفلسفة في المستعمرات التي أقامها اليونانيون في أيونيا الواقعة على حدود آسيا الصغرى حيث وجدوا أنفسهم في تماس مع الشعوب الشرقية. وقد انطلق الفكر الغربي اليوناني من آسيا حيث أنجبت **ملطية طاليس وانكسيمندر وانكسيمانس،** وأنجبت **أفسوس هيراقليطس، وساموس فيثاغورس، وكولوفون اكسينوفان،** وهؤلاء هم أوائل المفكرين اليونانيين في القرن السادس ملاد.

اذن ليس هناك حضاريا ما يسمى بالمعجزة بعد معجزة الحضارة المصرية الشرقية القديمة، فهي الوحيدة من بين حضارات العالم الجديرة بأن تلقب بالحضارة المعجزة. وسبب الإعجاز هنا واضح في نظر المؤرخين؛ فهي الحضارة الوحيدة التي أنشأت نفسها بنفسها في شتى الجوانب على غير مثال سابق. وقد كانت الفلسفة من بين تلك المكتشفات كما يؤكد تاريخ علم المصريات الحديث **Egyptology** حيث يرى العلماء أن مصر كانت مهد التأمل الفلسفي كما نعرفه اليوم.